

الدرس (27) من شرح كتاب التفسير من صحيح البخاري بالمسجد

الحرام

خالد المصلح

بسم الله الرحمن الرحيم ولا تسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور لا تحسبن الذين يفرحون فلا بأس بهن لما فازت من العذاب ولهم عذاب اليم. ولله الحمد - [00:00:00](#)

السموات والارض. صلى الله على كل شيء قدير. طيب هذه الاية او هذه الايات المباركات في سورة ال عمران ذكر الله تعالى فيها الميثاق الذي اخذه على اهل الكتاب والميثاق - [00:01:30](#)

في كلام الله عز وجل يطلق على العهد المؤكد الثقيل فقله جل وعلا واذا اخذنا واذا اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب وان اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب اي اخذ عليهم عهدا ثقيلًا مؤكدا - [00:01:54](#)

ان يبين الحق الذي بلغهم والا يكتموا الهدى الذي علموه يقول جل وعلا واذا اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب وهم كل من اتاه الله تعالى علما مبنيًا على وحي سواء كان ذلك - [00:02:18](#)

في الامم السابقة من اليهود والنصارى او كان ذلك في الامم اللاحقة او في الامة اللاحقة وهي امة الاسلام فقله تعالى واذا اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب اي الذين اوتوا العلم - [00:02:43](#)

وعرفوا من دين الله عز وجل ما يدركون به الحق والهدى هؤلاء الذين تبين لهم من دين الله ما يعرفون به الحق من الباطل والهدى من الضلال اخذ الله تعالى عليهم ميثاقا - [00:03:01](#)

عهد ثقيل مؤكد الا يخل ببيانه ولذلك قال لتبيننه للناس اي لتظهرن والبيان ضد الكتمان وهو الاظهار والاعلام يقول تعالى لتبيننه للناس اي لعامة الناس وكافتهم وهذا لان الناس جميعا على اختلاف - [00:03:21](#)

احوالهم وبلدانهم وزمانهم بحاجة الى ما جاءت به الرسل ولهذا لم يخص الله تعالى البيان بفئة من الناس بل جعله بيانا للناس كافة. فقال تعالى لتبيننه للناس اي لتظهرنه ولا تكشفن معانيه لتكشفن معانيه وتقربوه للناس بالبيان والايضاح - [00:03:52](#)

وتأكيدا لهذا المعنى في قوله تعالى لتبيننه للناس. قال ولا تكتمونه. مع ان البيان يدل على الاعلام والاظهار والابانة والايضاح لكنه اكد هذا البيان بقوله ولا تكتمونه اي ولا تكتموا شيئا من الهدى الذي جاء في - [00:04:23](#)

كتبي والذي جاءت به الرسل بل كل ذلك واجب البيان. فلا يجوز لاحد ان يكتم شيئا من العلم الذي جاءت به الرسل ولان يعرظ عن بيان شيء جاء في الكتاب والسنة او جاء في بيان الامم السابقة - [00:04:48](#)

قال تعالى فنبذوه وراء ظهورهم. هذا شأن اهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين تركوا بيان ما جاءهم من الحق في النبي صلى الله عليه وسلم. وفي رسالته وفي هدايته واعرضوا عن ذلك واقبلوا على دنياهم فكتموا الحق ولم يظهروه - [00:05:10](#)

رضا بالمكاسب الدنيئة ورضا بالرئاسات التي كانوا فيها فكان ذلك سببا لكتمانهم الحق. وقد مر معنا فيما مضى ما ذكره الله تعالى وقصه عن ما ذكره الله تعالى وقصه عن بعض اهل الكتاب من اليهود - [00:05:34](#)

الذين عرفوا الحق وتركوه كما قال تعالى يعرفونه كما يعرفون ابناءهم لكنهم لم يعملوا به. وقد قرأنا قصة هرقل في معرفته بالنبي صلى الله عليه وسلم. وعلمه انه رسول الله عز وجل. وانه حق وانه سيظهر - [00:05:58](#)

امره ويبلغ دينه مبلغ ما تحت قدميه رقل في ذلك اليوم وهي الشام فكان قد بين الحق فكان قد تبين له الحق لكنه اثر الدنيا على

الآخرة فإنه لما عرض الأمر على علماء - 00:06:19

النصارى وكبرائهم وأعيانهم ما كان منهم إلا أن حاصوا حيلة شديدة وهموا بالفرار منه حتى جمعهم وقال إنما أردت أن أختبركم لاجل أن يسلم له ما هو فيه من رئاسة - 00:06:43

وتقدم على النصارى والروم هذا نموذج لما ذكر الله تعالى من كتمان الكتاب في قوله وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه أي لتبينن هذا الكتاب وتوضحونه للناس بياناً لا - 00:07:00

تبس وإيضاحاً لا يخفى ولا تكتمونه أي ولا تخفونه ولا تسترونه وسواء كان هذا الكتمان لكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم أو كان الكتمان لبعضه قال الله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم أي جعلوا هذا العلم - 00:07:21

وذلك الهدى وتلك الحقائق والبصائر التي جاءت في الكتب وأخبرت بها الرسل وراء ظهورهم فلم يرفعوا بها رأساً ولم يحتفوا بها بل عرضوا عنها وتكبوها عنها. ولهذا يقول فنبذوه وراء ظهورهم وهذا دليل - 00:07:40

على زهدهم وعدم قيامهم بما يجب من حق الله تعالى في هذا العلم الذي أوتئهم إياه وساقه إليهم وتفضل عليهم. قال جل وعلا فنبذوه وراء ظهورهم. وأخذوا عوطاً عن بيانه - 00:08:01

وتبليغه وإيضاحه وعدم كتمانهم أخذوا به ثمناً قليلاً أي كتموه ولم يبينوه مقابل ما أخذوا به من الثمن القليل وهو ما كان من متع الدنيا وملذاتها ولو كان ذلك ما كان من الأموال الطائلة - 00:08:19

الرئاسة الواسعة لكن ذلك كله يزول أمام ما يكون في الآخرة فالدنيا في الآخرة قليل ولذلك يصرف الله تعالى متاع الدنيا بأنه قليل فمهما بلغ متاع الدنيا عظماً وكبراً واتساعاً - 00:08:42

ثباتاً إلا أنه قليل بازاء ما أعد الله تعالى لأولياءه وعباده الصالحين. لهذا يقول جل وعلا في هذه الآية واشتروا به ثمناً قليلاً. ثم قبح صنيعهم وقبح ما أخذوه. مقابل بيان الهدى ومقابل - 00:09:03

بيان الحق ومقابل إيضاح دين الله عز وجل فقال فبنس ما يشترتون. أي قبح تعيب وذم ما أخذوه فقول ما يشترتون أي ما اعتادوا به عن بيان الحق وإيضاحه وهو تلك المكاسب وتلك الأموال وتلك المكائات والرياسات التي من أجلها عطلوا - 00:09:23

حق ولم يبينوه ولا شك أن من ترك الدنيا لله أخلف الله تعالى عليه من الهدى ودين الحق وصلاح الحال والمآل واستقامة المعاشي والمعاد وسلامة الدين والدنيا ما لا يوازي - 00:09:50

تلك المكاسب المادية أو تلك المكاسب في الرياسات والملك فإن نعيم الله تعالى لأولياءه بالتقوى والصلاح والاستقامة والقيام بالحق أعظم أضعاف مما يدركه أولئك في رئاساتهم أو في مكائتهم أو في الأموال التي يأخذونها مقابل كتمان الحق - 00:10:12

وعدم أداء أو عدم أداء الأمانة التي أؤتمنوا عليها وهي ما يتعلق بتبليغ الشريعة والقيام بها بعد فهذا يقول تعالى لا تحسبن الذين يبخلون بما أتى لا تحسبن الذين يفرحون بما - 00:10:36

أوتوا لا لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمداً فلا تحسبنهم بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم. هذه الآية صلة الآية السابقة فإنه في الآية السابقة ذكر الميثاق الذي أخذه على أهل الكتاب. وما كانوا عليه - 00:10:56

من التكذيب بالحق وعدم القيام به. وفي هذه الآية يقول جل وعلا عن فئة منهم أتوا الباطل وزينوه وتركوا الحق وأعرضوا عنه وعملوا بأنواع الضلالات من الشرك والبدع والمعاصي وسائر ألوان الانحرافات - 00:11:19

أتوا ذلك كله ثم بعد هذا يطلبون أن يحمداً ويمدحوا بالاستقامة والصلاح والتوحيد والديانة زهد وهم في هذا كاذبون. هذا معنى قوله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا أي من المعاصي والسيئات والكفر والشرك - 00:11:39

ويحبون أن يحمداً بما لم يفعلوا. يعني وتتوق أنفسهم إلى أن يثنى عليهم الناس بما ليس من صنيعهم ولا بما وليس وبما ليس من عملهم ولم يقوموا به. ولم يكن من من كسبهم أو من كدهم بل - 00:12:02

أحب المدح على غير فعل. وتاقوا للمكانة من دون عمل. بل بالعمل بما موجب بما يضاد موجب المدح. فإن الذي يوجب المدح هو التقوى والإيمان والصلاح والخير والبيان الهدى والبذل والانفاق وهؤلاء كانوا على ضد ذلك في كل أوجههم - 00:12:22

فهم اهل شرك وهم اهل نفاق وهم اهل بدعة وهم اهل معصية وهم اهل امساك للدنيا وهم اهل اهل كتمان للحق وهم اهل عدم بيان لما امر الله تعالى ان يبينوه ومع ذلك - [00:12:48](#)

يجبون ان يمدحوا بما لم يفعلوا فيقال هؤلاء العلماء او هؤلاء الطائعون هؤلاء العباد هؤلاء الصالحون هؤلاء اهل التقى والصالح وقد عروا عن ذلك كله فطلبوا المدح بما ليس من صنيعهم - [00:13:07](#)

بل بما هو ضد فعلهم وهذا اقبح حالا من ممن عمل صالحا ولكنه رأى وطلب مدح الناس فهذا اشد سوءا واقبح حالا من المرئي فالمرائي يفعل الطاعة لاجل ان يمدح - [00:13:27](#)

لكن هؤلاء يفعلون الاساءة ويطلبون نقيضها يطلبون المدح يطلبون الثناء يطلبون المكانة يطلبون المنزلة يطلبون الاوصاف الجميلة وهم قد فعلوا كل ما هو ضد ذلك. ولذلك يقول الله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون - [00:13:46](#)

لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا اي من الكفر والعصيان وسائر الوان الظلم ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا. ومع هذا حالهم محبة المدح والثناء بما ليس فيهم. ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا - [00:14:06](#)

فلا تحسبنهم هذا تكرار للنفي الاول تأكيدا له فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اي لا تحسبنهم سينجون من العذاب فلا نجاة لهم فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم. اي لهم عذاب مؤلم وهذا ليس فقط في الآخرة - [00:14:25](#)

بل هذا في الدنيا وفي الآخرة. اما في الدنيا فعاجل عقوبتهم ما يصيبهم الله تعالى به من ظلمة القلوب وانتكاس الراء وسوء الحال فانه ما من احد يكتم حقا الا ويظلم قلبه ويجد - [00:14:49](#)

من الوحشة والعناء والمشقة والظنك والظنك في الدنيا ما يصدق عليه قول الله تعالى ومن عرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا. والاعراض عن الذكر له صور. ومن اعظم صور الاعراض عن الذكر - [00:15:09](#)

كتمانهم وعدم بيانهم. فالله تعالى يقول ومن اعرض عن ذكري شامل لكل اوجه الاعراب سواء كان الاعراب بترك التعلم او كان الاعراض بترك العمل بالحق او كان الاعراض بكتمان الحق - [00:15:29](#)

وعدم بيانهم او كان الاعراض بالتكذيب والتزوير على الهدى بما ليس فيه. كل هذا كل هذا يدخل في الاعراض الذي ذكره الله تعالى في قوله ومن اعرض عن ذكري فان له - [00:15:45](#)

معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى. قال ربي انظر الان ذكر الله عقوبتين اما العقوبة المعجلة الظنك وهو الظيق والحر. واما العقوبة المؤجلة فهي ما ذكره الله تعالى من الحشر يوم القيامة اعمى. اتدرون كيف يحشر اعمى؟ اي لا يبصر. فلما عميت بصيرته في الدنيا - [00:16:00](#)

عقب بعمل بصري في الآخرة يوم القيامة احوج ما يكون الانسان الى رؤيا يبصر بها مواقع السلامة ويتوقع بها مواقع الخطر فيفقد البصر في ذلك اليوم الذي الناس فيه احوج ما يكونون الى ما يعينهم - [00:16:26](#)

على توقي الاخطار والبعد عن مواقع الهالك والوبار. لكن هذا يحشر اعمى. ولكم ان تتخيلوا اعمى يتقحم ارحموا اهوالا كيف يكون؟ لكم ان تتخيلوا اعمى يمشي في مخاطر وتحيط به مهالك كيف ينجو - [00:16:46](#)

انه لا نجاة له. ولذلك قال الله تعالى ونحشره يوم القيامة اعمى. ومن كان كذلك فلا نجاة له. فان هذا خبر عن عظيم ما يلقاه ليس فقط العذاب بل ثمة عذاب اخر غير عذاب البدن وهو عذاب الروح والفرع والهلع ولك ان تتخيل رجل - [00:17:06](#)

اعمى يمشي في مهالك كيف هو؟ يعني لو كان يبصر ما سيأتيه اهوون عليه من ان يمشي اعمى لا ماذا يحيط به من المهالك والاطار والاهوال؟ لذلك كانت عقوبة هؤلاء الذين كتموا الحق كما ذكر الله - [00:17:26](#)

جل وعلا والذين كذبوا ولم يبينوا الهدى كما قال الله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب هذا يعني بنجاة ولماذا سميت المفازة نجاة؟ لانها فوز بالسلامة من المهالك كما قال الله - [00:17:46](#)

جل في علاه ومن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز. فهذا هو الفوز العظيم. هذا هو الفوز الكبير. هذا هو الفوز ان ينجيك الله تعالى من احوال يوم القيامة وان يسلمك من النار ونفحها وعذابها نسأل الله ان يجيرنا والمسلمين - [00:18:06](#)

منها. ايها الاخوة يقول الله جل في علاه لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا. يعني بالذي فعلوه من الكفر وسائل العمل ويحبون ان يحمدا بما لم يفعلوا اي وتطمح نفوسهم الى مزيد رغبة في مدح وثناء - [00:18:26](#)

لم يتمثلوا به فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم. التفسير الذي ذكرناه قبل قليل ان هؤلاء قوم فعلوا القبيح وطلبوا الحمد على محمود لم يفعله. على جميل لم يفعله. لكن ايضا مما يدخل في الاية قوله تعالى وهي قوله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا - [00:18:46](#)

اي انهم اذا عملوا قليلا من الصالح وجدوا فرحا في نفوسهم ليس فرحا اهل التقى والايمان بطاعة الرحمن انما فرح الاعجاب بذلك العمل وان الناس قد رأوهم او سمعوهم او علموا بهم ثم تطمح - [00:19:11](#)

الى مزيد من الثناء الى مزيد من المدح الى مزيد من المكانة في قلوب الناس فتجد انهم يحبون ان يحمدا بما لم يفعلوا. يحبون ان يحمدا بما لم يفعلوه من الصالحات. بما لم يفعلوه من الخيرات - [00:19:32](#)

وهذا ايضا من الصور وهذا يحصل احيانا من بعض الناس تجده يمدح بشيء ما في مجلس مثلا فيقال ما شاء الله فلان حافظ القرآن وهو يعرف انه مو بحافظ القرآن ولكن يسكت - [00:19:52](#)

حتى يمدح بهذا وهو لم يحفظ القرآن. فهذا ممن يدخل في قوله تعالى ويحبون ان يحمدا بما لم يفعلوا. يقال هذا علم عند العالم الفلاني او تلقى العلم سنوات كذا وكذا او ما الى ذلك مما يمدح به الناس او هذا صاحب عبادة او هذا كل سنة - [00:20:06](#)

يعتمر او هذا كل سنة يفعل كذا من الصالحات وهو على خلاف الواقع فيسكت ولا يبين الواقع طلبا لمدح الناس فهذا داخل في قول الله تعالى ويحبون ان يحمدا بما لم يفعلوا. ولهذا كل من - [00:20:26](#)

بما ليس بك اوقف فان اصل المدح مذموم. فكيف اذا كان المدح بما ليس فيك؟ مما تطلب فيه مكانة عند الناس. وتتشوف فيه الى وارتفاع عليهم لا شك ان المؤمن تأبى نفسه هذا ويكره ان يكون في هذا الموقف بل اذا مدحك الانسان بشيء ليس فيك - [00:20:43](#) فمباشرة قل اتمنى ان اكون كذلك لكن الله لم يبسر لي ذلك. فاذا قيل ما شاء الله فلان يحفظ القرآن وانت لست حافظا له. قل والله يا اخي امنية حفظ - [00:21:06](#)

القرآن لكن اسأل الله ان يعينني عليه. واما انا فلم احفظ. فبين الحق حتى لا تحمد بما لم تفعل. وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم ذم من تزين بما ليس فيه. فان فانه صلى الله عليه وسلم اخبر ان المتشبع بما - [00:21:18](#)

لم يعطى يعني بما لم يعطيه الله عز وجل او بما لم يسق اليه سواء كان التشبع بامر دنيا او بامر دين كلابس ثوب يزور. هذا الحديث في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال - [00:21:38](#)

المتشبع سألته احدى النساء قالت ان لي ضرة يعني لي امرأة لها مع زوجي امرأة اخرى مع زوجي ان لي ضرة فهل علي من بأس يعني هل اؤاخذ بان اذكر شيئا - [00:21:57](#)

لم يكن من زوجي ان اتزيد منه بما لم يعطني؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم المتشبع بما ليس فيه تلبس ثوب يزور فهذا يدل على ان كل من طلب حمدا او مدحا او ثناء حتى في امور الدنيا وهو ليس فيه فانه - [00:22:16](#)

لابس ثوبي زور. ولهذا ينبغي للمؤمن ان لا يتكلف حالا تخالف ما هو عليه فان كان عنده شيء من الصالحات فليحرص على ستره لكن ان يتزىي بما ليس فيه من الصالحات فهذا لا شك انه خلاف - [00:22:40](#)

منهج اهل التقى والايمان. نقرأ ما جاء من اسباب النزول في هذه الاية مما ذكره الامام البخاري رحمه الله في صحيحه في باب قوله تعالى ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا - [00:22:59](#)

ويحبون ان يحمدا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب - [00:23:16](#)